**محاضرة (10) عناصر العمل الفني وبنيته**

1-**التناسب**: وهو مراعاة النسبة بين أجزاء العمل الفني واجتلاء التناسب في الموجودات الطبيعية... وهو العامل الحاسم في هذا المجال، ويضرب (هوغارت) مثالا لذلك بفن العمارة، فإذا أريد للبناء أن يكون ضخما، فينبغي لكافة عناصره أن تكون كذلك أيضا كالأعمدة والأسقف والأبواب والنوافذ، حتى يكون البناء الضخم جميلا ...[[1]](#footnote-1)

وكما أن الّنحت والعمارة قدرا على أساس من التناسب والانسجام بين عناصرها، فإن الموسيقى كذلك تقوم على هذا الأساس، بل هي أنموذج آخر تتجلى فيه سمة التناسب واضحة من خلال الإيقاع المنتظم الذي لا تخطئه الأذن، فمثلا لو ضرب طفل على البيانو بلا تنظيم أو ترتيب بينها فلن يجد أحد أي تنسيق أو تنظيم بين هذه الضربات[[2]](#footnote-2) ،وبالتنسيق والتأليف بين الوحدات الصوتية يستميلنا الإيقاع وندرك أننا أمام مقطوعة فنية متناسبة. ولعل علم العروض أفضل مثال يمكن أن ي ضرب هنا، لأنه قائم على توازي وتساوي وتكرار وحدات صوتية في أزمنة متناظرة، أي أننا هنا أمام (تناظر زماني مسموع) في مقابل (التناظر المكاني أو الفضائي المرئي) لفني العمارة والنحت وما ماثلها من فنون.

**2-التنوع**: ويعتبر أهم عنصر يشعر المتذوق بلّذة العمل، وهو ضّد المماثلة التي تشعرنا بالملل والموات، فاختلاف ألوان الأزهار وأوراق الشجر والفراشات، يدخل على أنفسنا البهجة والسرور بتأثير تنوع ألوانها، لكن يجب أن يخضع لتخطيط معين ينطوي على سمة التدرج التي نلاحظها في شكل الهرم [[3]](#footnote-3)مثلا. لأن الحدود والفواصل بين العناصر المختلفة ينبغي أن تكون لّينة منسابة لا حاّدة أو ناتئة حتى تتداعى العناصر إ

وحدة العمل الفني. وبالتنوع يتجسد النظر إلى العمل الفني بشموليته حيث يظهر الاختلال بغياب ذلك العنصر المختلف، أو الناقص لأن هناك من يرى الجمال في الكمال أو الاكتمال الذي يقابله التشوه والنقص والاختلال، فنحن نسم شخصا أو منظرا أو كائنا ما بالجمال تكامل عناصره وأعضائه واستواء تكوينه " فلو افترضنا امرأتين أو رجلين على درجة واحدة من جمال المظهر، ولكن أحدهما يمتلك خللا في أحد أعضاء جسمه، فإن هذا الشخص سيكون بالضرورة أقل جمالا من صاحب الأعضاء المتكاملة الأقدر على تلبية متطلبات الحياة من الآخر الناقص" [[4]](#footnote-4). أي وكأننا أمام هذا المشهد المنقوص نشعر بالحسرة والأسى على عدم الاكتمال والنقص وكأن هذا النقص وجدناه بداخلنا نحن... فنقول بمرارة: «آه... لو ....» ǃففي الكمال يتم تنزيه الجميل عن الزيادة والنقصان بشمولية الحسن لكافة أجزائه المتناغمة المنسجمة في وحدة هذا الجميل

**3-البعد عن الاطراد**: ويقصد بالاطراد التمادي في التفاصيل المتتابعة والدقيقة، ويعتبر هذا العنصر سلبيا، ومن ثم لا يجب أن نلجأ إلى ا طراد الخطوط والأشكال والاجزاء، لأن ذلك يعني الوقوع في طباقية طبيعية عقيمة وغير مجدية في الفن، ونحن حين نخضع للاطراد فإننا لن نصف شيئا بالجمال إلا إذا كان ثابتا ساكنا، بينما تتعلق سمة الجمال –بدرجة أكبر بالشيء المتحرك[[5]](#footnote-5) كما يقول هوغارت. وعليه فإن الفنان مطالب لتجنب الاطراد أن يبتعد عن السيمترية (التناظرية) وأن يلجأ إلى التباين، ففيه الحركة والحرية والحيوية.

**4-البساطة**: ويرتبط هذا العنصر بالتنوع ارتباطا طرديا، أي أن وجود أحدهما ضروري لتعديل تطُّرف الآخر وحّدة حضوره. فالبساطة دون تنوع لا تعتبر من عوامل الجمال، فتنوع شكل الهرم وشكل ثمرة الأناناس رغم بساطتهما هو الذي يجعلنا نحكم عليهما بالجمال.

**5-التعقيد**: لا يبهرنا العمل الفني إلا إذا شعرنا أمامه بالإعجاز، ذلك أنه يتعدى قدراتنا البسيطة ويتحداها، فلا يمكننا أن ننبهر بعمل نستطيعه، أو نفهم على الأقل مسالك الوصول إليه ولا نستوحشها أو نستغربها. هكذا يكون التعقيد عاملا فنيا هاًّما. ويرى (هوغارت) أن العين تجد لّذة عندما تشاهد انسياب الأنهار وانحناءاتها المتعددة وأيضا الطرق المتعّرجة وقممها المنحنية الأشكال، ذلك لأن تركيب الشكل من خطوط معّقدة توحي إلينا الشعور بالحركة . [[6]](#footnote-6)لتعُّقد الخطوط والأشكال أمام العين وهي تعاين تفاصيل المشهد.

وسنسجل هنا أن (هوغارت) يفضل الخطوط المنحنية المنسابة على الزوايا ُّوالخطوط المستقيمة، لأنه طبيعي والخطوط المستقيمة، المدرسة، فهو يميل إلى ما ي شبه حركة الأمواج وآفاق الهضاب وامتداداتها الخضراء التي تشعر المشاهد بال ا رحة والحركة والحياة في الطبيعة.

لكن الإيغال في التعقيد قد يبعث السأم والنفور في ذات المتلقي للعمل الفني، وعلى الفنان أن يعتدل في الأخذ به.

**-6الضخامة** : يعمد الفنان إلى تضخيم عناصر فنه قصد إضفاء تأثير ال رهبة والوقار والمهابة في نفس من يشاهد عرضه الفني. إن الضخامة عامل له تأثير على فكرة الجمال، فالشعور بالرهبة إزاء الجبال العالية، والقصور والمعابد والمحيطات، لا يلبث أن يتحول إلى إعجاب مقرون باللذة. ومن الواضح أن الضخامة تستتبع المبالغة في إظهار عنصر ما أمام عناصر أخرى كما فعل بعض فناني الرومان حين صوروا المسيح بحجم يزيد ثلاثا أو أربع مرات عن حجم تلاميذه لإبراز عظمة السيد المسيح.[[7]](#footnote-7)

**-2بنية العمل الفني :**

**-1-2المادة**: تختلف المادة التي ي قُّد منها الفنان تحفه وآثاره من حيث طبيعتها، فقد تكون لفظا أو صوتا أو حركة أو صخرا / حجرا ... وتنقسم الفنون من حيث مادتها إلى فنون مكانية مرئية، وفنون زمانية مسموعة، وكلما كانت المادة أكثر عنادا وصلابة وتماسكا أمام قدرة الفنان على تشكيلها والتعبير بها، كان تمثلها بحاستي البصر واللمس أكثر من غيرها كالنحت والعمارة واللوحات التشكيلية وغيرها...في حين أن الشعر والموسيقى والغناء وما شاكل ذلك من فنون تعتبر مادتها ذات طبيعة أثيرية كالصوت، هي فنون نلمس اتساقها وإيقاعها وجمالياتها في التأليف الزماني لوحداتها الذي ت ست شُّفه الأذن خاصة.

**-2-2الموضوع** : يستخدم الفنان المادة لغاية تجلي موضوعه فيه الذي يبتغي تجسيده من خلاله حين تنتظم عناصر المادة المحسوسة، ويعاد تأليفها، وتشكيلها، وصقلها، ومعالجتها فنيا، حتى تتشكل في صورة فكرة أو علامة أو رمز دالا نسميه (موضوع العمل الفني). وتختلف درجة دلالة الموضوع ووضوحها من خلال المادة المستخدمة باختلاف المدارس والاتجاهات الفنية التي ينضوي تحتها الفنان، فالموضوع واضح الدلالة ومباشر الإيحاء في الاتجاهات الكلاسيكية والرومانسية بعكس الاتجاهات السريالية، والتجريدية، والعبثية، التي يختلف المتلقين في تأويل موضوعاتها. ولعل أول سؤال يشاء طرحه شخص ما يدخل معرضا للوحا ت فني ة تثير اهتمامه هو أن يسأل الفنان عن مدلول تشكيلاته ومعناها أو مضمونها؛ ففي الموضوع معنى أو مضمون أو دلالة ثاوية تحت تأليف ما، كما في المادة شكل ظاهري للعمل الفني.

**2-3-التعبير**: وهو أهم عنصر من عناصر بناء العمل الفني، بل هو العنصر الذي يكمن فيه تفاوت درجات الإبداع بين الفنانين، فالمادة والموضوع متاحان لجميع الناس على اختلاف مواهبهم وعبقرياتهم. كما يقول الجاحظ ": المعاني مطروحة في الطريق، يعرفها العربي، والعجمي، والحضري، والبدوي، وإنما الشعر صياغة وضرب من النسج وجنس من التصوير". [[8]](#footnote-8) وفي عبارته (صياغة وضرب من النسج) حديث عن التأليف والتعبير وإعادة السبك، والاختيار الفني الخاص؛ وذلك من خلال كلمتي (ضرب) و(جنس). أي أن الفنان

والشاعر سيختار طريقة غير مألوفة ينظم من خلالها أدواته الفنية. فموضوع (الحرية) مثلا واحد، لكن طرائق التعبير الفني عنه لن ينفد أبدا في اللوحات التشكيلية، أو في المنحوتات الفنية، أو في الشعر والمسرح والأدب ما عاش الإنسان على هذه الأرض. لتعدد مسالك التعبير المفتوحة الآفاق أمام مدارك وأخيلة الفنانين التي هي أعظم من حدود الكون الذي يحيط بها، فقد قال الكاتب والناقد الجمالي الفرنسي المعروف (أندريه مالرو":) إذا كان العالم أعظم من الإنسان، فإن معنى العالم في خياله أعظم من هذا العالم بأكمله"[[9]](#footnote-9)

1. -محمد علي أبو ريان، فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط1 ،2015، ص33 [↑](#footnote-ref-1)
2. -ينظر فضيلة عظمي، التناسب الإيقاعي في القرآن الكريم، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان الأردن، ط1 ،2019، ص20 [↑](#footnote-ref-2)
3. -محمد علي أبو ريان، فلسفة الجمال، ص 3 [↑](#footnote-ref-3)
4. -ينظر رشيد فوزي، ما هو الجمال؟ مجلة دراسات في العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الجزائر،2مج2، ع1 ، 2001، ص 214 [↑](#footnote-ref-4)
5. -محمد علي أبو ريان، مرجع سابق، 33 [↑](#footnote-ref-5)
6. -محمد علي أبو ريان، مرجع سابق، 33-34 [↑](#footnote-ref-6)
7. -نظر حفناوي بعلي، مسارات النقد ومدارات ما بعد الحداثة، أمانة عمان الكبرى للنشر، الأردن، ط1 ،2007، ص 33 [↑](#footnote-ref-7)
8. -ابو عمرو الجاحظ، الحيوان، تح: عبد السلام هارون، الكتاب الأول، شركة مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر ج 3، ط 2 ،1965، ص ص131-132 [↑](#footnote-ref-8)
9. -André Malraux ,La Création artistique, Ed, Skira , Suisse, 1948, p 156 [↑](#footnote-ref-9)